﴿* قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ [سبأ: 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تلـيـينُ الـكـلامِ رجـاءَ قـبـولِـهـم الـوعْـظَ

لَمّا كانت الآياتُ السّابقة جاريةً مجرى إبطال شُبَهِهم كلِّها ممّا رموهُ بالكذب والجنون والسِّحر ونحوه، وتنبيههم للتَّحذير لهم؛ فكان أن ليَّن مِن عريكَتِهم، وخفَّف مِن جموحهم، وفي ذلك توطئةٌ لجدارَتِهم بقَبول الوعظ والإرشاد، فجاءت هذه الآيةُ على صيغة الأمرِ له ﷺ بأن يُقبِل عليهم مخفِّفًا عليهم مخافةَ النُّفور من طوله[1]، وأن يدعوَهُم، وينذرَهم أن يرجعوا عن غيِّهم، وإلّا شَمِلَهُم العذابُ الأليم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعِظُكُم﴾: (وعظ) تدلُّ تصريفاتُه على التَّخويف والزَّجرِ[2]، والوعظُ والعظة والموعظة "كلامٌ أو عمل يُنبَّه به الإنسانُ إلى عواقب ما يفعلُهُ، أو ما هو مُقدِم عليه ليتوقَّف عنه ... وكلُّ ما جاء في القرآنِ من التَّركيب؛ فهو بمعنى هذا الإذكارِ والتَّنبيه"[3]، وقوله تعالى: ﴿أَعِظُكُم﴾ الوارد في الآية: بمعنى: آمركم وأوصيكم بكلمةٍ واحدةٍ هي كلمة الإخلاص (لا إله إلّا الله)[4].

2) ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾: (وحد) تدلُّ تصريفاتُه على الانفراد[5]، ومِنْهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 529.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وعظ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وعظ).
(4) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 381.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وحد).

الوحدةُ: الانفراد[1]، والواحد أوَّلُ عددِ الحساب، ومبناهُ على انقطاع النَّظير وعَوَزِ المثل[2]، ومعنى (واحدة) في الآية، أي: منفردة، والمعنى: أعظكم بخصلة منفردةٍ؛ هي طاعةُ الله، أو كلمة التَّوحيد[3].

3) ﴿تَقُومُواْ﴾: (قوم) تدور اشتقاقاتُه على الانتصابِ أو العزم[4]، والإقامةُ: الثَّباتُ والاستقرارُ، يقال: أقام بالمكان، أي: ثبتَ واستقرَّ فيه، وتُطلق بمعنى الدَّوام على الشَّيء، كقولهم: أقامَ الشَّيء بمعنى: أدامَهُ، والمقام هو الموضعُ الَّذي تقيمُ فيه، والقيام يأتي على عدَّة أضربٍ، منه قيامٌ بالشَّخص إمّا بتسخير أو اختيار، ومنه قيامٌ للشَّيء مراعاةً وحفظًا له، ومنه العزم على الشَّيء[5]، والمراد بالقيام في قوله تعالى: ﴿تَقُومُواْ﴾ لا يُقصَدُ منه القيامُ بالأرجل والأقدام، وإنَّما القيامُ بالأمر والجدِّ فيه للنَّظر في أمر هذا الرَّسول ﷺ قيامًا خالصًا لا يشوبهُ اتِّباع هوًى أو ميل[6].

4) ﴿جِنَّةٌۚ﴾: (جنّ) تدلُّ تصريفاتُه على السَّتر، ومنه الجِنَّة بمعنى الجنونِ؛ لأنَّه يغطّي العقلَ، ويسترهُ، والجنونُ يكون حائلًا بين العقلِ والنَّفس، وبغياب العقل واستتاره يحصل الجنونُ[7]، ومنه الجنُّ، وتسميتُهم كذلك لاستجنانِهم، أي: اختفائِهم مِنَ النّاس، فلا يرونهم، ومعنى الاجتنانِ: الاستتارُ والتَّغطية، وأجنَّهُ اللّهُ، فهو مجنونٌ[8]، وقوله تعالى: ﴿جِنَّةٌۚ﴾ في الآية بمعنى: الجنونِ[9]؛ فإنَّه ﷺ مبرَّأٌ منه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إذا سوَّلت لكم أنفسُكم تكذيبَ الرَّسول ﷺ، واتِّهامه بالسِّحر ونحوه؛ فأنعموا النَّظر، فأين آثارُ ما رميتموه به؟ هذا محمَّد ﷺ، وكان من مقالتكم عنه أنَّه ساحرٌ، فهل ظهر أثرُ السِّحر على أحوالهِ وأفعالهِ وأقوالهِ؟ ثمَّ قلتم: إنَّه شاعرٌ، فمِن أيِّ قسم مِن أقسام الشِّعر

(1) الراغب، المفردات: (وحد).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وحد).
(3) مكي القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية: 9/ 5936.
(4) الخليل العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(5) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قوم).
(6) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 169.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جن).
(8) الخليل، العين، وابن قتيبة، غريب القرآن، وابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (جن).
(9) الفيروزابادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص: 363.

كلامُه؟ وقلتم: إنَّه مجنون، فأين الجنونُ الذي زعمتم؟ وفي ذلك كلِّه أنتم عاجزون فهلّا صدَّقتموه[1]، فإنَّ صاحِبَكُم ليس فيه شيءٌ مِن دعواكم، وما هو إلّا منذِرٌ لكم بين يدي السّاعة ينذرُكم العقابَ على كُفركم، ويخوِّفكم عذابَ جهنَّم قبل أن تَصلوا إليها[2].

الـدَّعـوةُ إلى التَّفكُّر في أحوال النَّبيِّ المُرسَلِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصلِ جملة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾:

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لكونِهِ استئنافًا نحويًّا[3]، يُرادُ به الانتقالُ ممّا حكاهُ عن أحوالِ كُفْرِ المشركين، وما تخلَّله مِنَ النَّقض والاستدلالِ والتَّسليةِ والتَّهديد إلى دعوتِهم إلى أن يكونوا منصفينَ في نظرِهم، وتأمُّلهم في الحقائقِ؛ ليظهرَ لهم خطؤهُم فيما ارتكبوهُ مِنَ الانحرافِ في تلقّي دعوةِ الإسلامِ، وفيه إرشادٌ لهم للاختلاء بأنفُسِهم كي يُلْزِمَهُم الحجَّة، ويُسْقِطَ عنهم أعذار المجادلة[4].

الانـتـقـالُ مِـن أحـوال الـكُـفْـرِ إلى الـدَّعـوة إلى الإنصاف

دلالةُ التعبير بالقول وغرضه:

بعد أن دحضَ اللّهُ تعالى كلَّ شبهةٍ أثارها المشركون، ولطَّف في معاملتهم بتنبيهاتِهِ الحكيمةِ؛ صاروا مستعدّينَ لاستقبال الوعظِ والإرشاد، ومع ذلك ألقوا عليهِ تهمةَ الجنونِ والكذبِ، فخاطبَهم اللّهُ تعالى مِنْ غيرِ تفصيلٍ طويل؛ ليجنِّبَهم الملل والنُّفور[5]، فأورد الفعلَ ﴿قُلْ﴾ هنا اهتمامًا بما احتوت عليه هذه الجملةُ مِنَ المعاني[6].

التَّـلـطُّـف في الوعظِ لتجَنُّبِ النُّفور

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 3/ 187 - 188.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 305.
(3) مجموعة مؤلفين، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1896.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 231.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 529.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 231.

دلالةُ ﴿إِنَّمَآ﴾، وسرُّ إيثارها:

التَّوحيدُ أسُّ الشَّريعةِ وأساسُها

﴿إِنَّمَآ﴾ في كلام العربِ تدلُّ على الحصرِ والتَّحقيق[1]، وهي كذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾، فالوعظُ منحصرٌ في التَّوحيد؛ لأنَّ مَن وحَّد الله سبحانه حقَّ توحيده؛ انشرحَ صدرُه، وارتفع قدرُه، وانقادَ للشَّريعةِ كُلِّها، وقد أمرهم النَّبيُّ ﷺ بما يفتح لهم أبوابَ العبادات، ويهيِّئ لهم أسباب السَّعادات[2]، وإيثارُها على (ما) مع (إلّا)؛ لأنَّ ﴿إِنَّمَآ﴾ دالَّةٌ على التَّحقيق والتَّوكيد مع القصرِ.

وهذا القصرُ بالنِّسبة لزمنٍ خاصٍّ؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ لم يأمرْهُم في جميع عمره معهم بشيءٍ واحد، وهو التَّوحيدُ فحسب، بل أوامرُهُ كثيرةٌ، وإنَّما المعنى: أعظكم أوَّلًا بالتَّوحيد، ولا آمركم في أوَّل الأمر بغيرِه؛ لأنَّه سابقٌ على الجميع[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالوعظ مضارعًا ﴿أَعِظُكُم﴾:

التَّحذيرُ مِن سوء العاقبةِ والتَّرغيب في حسنِ الختام

جاء التَّعبيرُ بالوعظ في قوله تعالى: ﴿أَعِظُكُم﴾؛ لأنَّ الوعظَ كلامٌ مشتملٌ على التَّحذير من المكروهِ، والتَّرغيب في حسن الخاتمةِ، وما هو ضدُّ المكروه، فهو ما كان نُصْحًا مختلطًا بتحذير من أن يلحقَكَ ضرٌّ في عاقبة أمرك، أو هو تحريضٌ لك على جلبِ المنفعة[4]، وصيغةُ المضارع تدلُّ على وعظٍ مستمرٍّ ومتجدِّد، فالآيةُ فيها أمرٌ ضمنيٌّ للنَّبيِّ ﷺ لمواصلةِ الدَّعوة، والاستمرار في تذكير قومِه لعلَّهم يهتدون[5]، أي: إنَّ الدَّعوة إلى الله تعالى والعظةِ والحكمةِ ليست مقتصرةً على لحظة معيَّنةٍ، بل هي أمرٌ مستمرٌّ يَتطلَّب تذكيرًا وتوجيهًا دائِمَيْن.

---

(1) السبكي، عروس الأفراح: 1/ 131.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 214.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 214.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 98، و: 22/ 231.
(5) مجموعة مؤلفين، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 289.

بيانُ مرجع الضَّمير في ﴿أَعِظُكُم﴾:

إنَّما أنصحُ لكم يا أهل مكَّة بنصيحةٍ واحدةٍ لا شيءَ غيرها

قول الله تعالى: ﴿أَعِظُكُم﴾ فعل مضارعٌ، وفاعله ضميرٌ مستترٌ وجوبًا، والكاف في محلِّ نصبٍ مفعولُهُ[1]، والكاف راجعةٌ إلى المخاطَبين مِن كفّار مكَّة الذين رموا النَّبيَّ ﷺ بالسِّحر والكذب والجنون[2].

نكتةُ حذفِ الموصوف والتَّعبير بصفتهِ ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾:

طَيُّ الكلامِ للتقريب والاختصار والإيجاز

في قول اللهِ تَعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ اكتفاءٌ بالصِّفة عن الموصوفِ، والعظةُ هنا هي الطّاعةُ التي تتضمَّنُ التَّوحيدَ والإخلاص، فيكونُ المعنى أنَّه يعظهم، ويذكِّرهم بهذه الخصلةِ الواحدة[3]، أو بهذه الكلمةِ الواحدةِ، كقول الرجل لقرينه: اسمعْ أكلِّمْك كلمةً واحدةً[4] أو قضيَّةً واحدة[5] أو حسنة واحدة[6]، فلفظُ (واحدة) صفةٌ لموصوف محذوفٍ بما يدلُّ عليه المقام، ويفرضُهُ السّامع، ونكتةُ حذفِ الموصوف قُرْبُ الكلام مع الحذفِ مِنَ الأفهام، واختصارُه في الاستدلال، وإيجازُهُ في نظم الكلامِ؛ ليكونَ أدْعى لاستنزالِ طائرِ صدِّهم ونُفورهم[7].

بلاغةُ القصرِ في الآية:

اختصارُ المجادلَةِ أدْعى لجمعِ القَلْبِ عَليها

في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أسلوبُ قصرٍ، وهو قصر إضافيٌّ، والمعنى: أعظكم بموعظةٍ واحدة لا بغيرها ممّا فيها تفصيلٌ وتطويلٌ؛ لأنَّكم قد استكثرْتُم الحججَ، ومللْتُم مِنَ الرُّدود، وتذمَّرتم مِنَ القرآن، فسأختصر لكم المجادلةَ في كلمةٍ واحدةٍ، وهذا كقول المناظرِ والمجادل بعد بسط الأدلَّة والحُجَج: والحاصلُ كذا وكذا[8].

---

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 623.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 838.
(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 256 - 257، والزمخشري، الكشاف: 3/ 589.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السّنّة: 8/ 459، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 311.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 425.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 214.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 232.
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 231.

دلالةُ التَّعبيرِ بالقيام في: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾:

المرادُ مِنَ القيام في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ - في أحد أوجُهِهِ - القيامُ المعهود، وهو الانفضاضُ عن مجلس الرَّسولِ ﷺ وتفرُّقهم عن اجتماعِهم عنده[1]، وهو قيامٌ لأجل التَّفكُّرِ[2].

بلاغةُ التَّجوُّز في التَّعبير بالقيام:

للقيام في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ وجهٌ آخَرُ، وهو قيامٌ لا يُراد به المثولُ على القدمين، إنَّما الانتصابُ في الأمر، والنُّهوضُ فيه بداعي الهمَّة والاجتهاد؛ فيكون المعنى: أن تقوموا لوجهِ الله خالِصًا[3].

معنى (اللّام) في ﴿لِلَّهِ﴾:

الأمرُ بالإخلاصِ في الأمور كلِّها

من معاني اللّام في لسان العربِ الاختصاصُ[4]، وهي كذلك في قولهِ تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾، والمعنى: "أن تقوموا لله، أي: لوجه اللهِ خالصًا، لا لحميَّة، ولا عصبيَّة، بل لطلب الحقِّ والاسترشاد"[5].

ويجوز أن تكونَ اللّامُ دالَّةً على التَّعليل، وهو معنًى لها في كلام العرب[6]، فاللّام تدلُّ على أنَّ القيامَ والتَّفكُّرَ يكون لله وحده، خالصًا لوجهه الكريم، وليس لأجل سببٍ دنيويٍّ، أو رغبة في الثَّناء مِنَ الخلقِ، وهذا المعنى لِلّام والمعنى الذي تقدَّم متآيلانِ.

دلالةُ التَّعبير بالاسم الأحسن (الله):

استِخضارُ عظمةِ اللهِ تعالى أَدْعى للإخلاصِ لَهُ

جاء التَّعبيرُ بالاسم الأحسن (اللّه) في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾؛ لجَمْعِه لمعاني صفاتِ الجلال والجمال والكمال، فيكون أدعى

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 589.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 209.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 590.
(4) الصبان، حاشية على شرح الأشموني: 2/ 320.
(5) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 505.
(6) ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص: 145.

لاستحضار عظمتهِ سبحانَهُ بما أوتوا مِن الإحسانِ[1]، فيدفعهم ذلك إلى إخلاصِ العملِ للّه سبحانه.

دلالةُ ﴿مَثْنَىٰ﴾ و﴿وَفُرَادَىٰ﴾:

تـكـريـرٌ لإفـادة التَّرصيفِ

﴿مَثْنَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ معدولٌ بها عن تكرير لفظ الاثنين، وهو تكريرٌ لإفادة معنى ترصيفِ الأشياء المتعدِّدة بأن تجعل كلَّ معدودٍ بعدد اثنين مرصفًا على نحو عددِهِ، والمعنى: أن تقوموا للّه اثنين اثنين، وكذلك لفظُ ﴿وَفُرَادَىٰ﴾؛ هوَ تكرير لإفادة التَّرصيف، والمعنى: فردًا فَردًا[2].

دلالةُ التَّعبير بالفرد والاثنين:

كـثرةُ الاجتـماعِ مدعاةٌ لتشويش الخواطر

قول اللّه تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ في موضع نصبٍ على الحاليَّة مِن ضمير الرَّفع في فعل القيام[3]، وعُبِّرَ بالتَّثنية والإفراد دون الجمعِ الكثير؛ لأنَّ الاثنين يتعاونان في التَّفكيرِ، يعرض كلُّ واحدٍ منهما على الآخرِ محصولَ فكرهِ، وثمار تأمُّله، ويتناقشان بعمقٍ وصدقٍ، لا يسود بينهما أيُّ انحيازٍ أو تعصُّب أو اتِّباع هوًى، حتّى يميل بهما الفكرُ السَّليم والنَّظر الصَّحيح نحو جادَّة الحقِّ، وبالمثل يتأمَّل الفردُ في ذاته ونفسه بنزاهةٍ وحيادٍ وإنصافٍ من دون مكابرة، ويقارن أفكارَهُ بمعاييرِ العقلاءِ وأحوالهم، أمّا الجمعُ الكثير؛ ففيه تشويشُ الخواطر، وعمى البصائر، فيحجب الرُّؤية؛ فيقلُّ العدلُ والإنصاف، ويكثر الجورُ والاعتساف[4].

الإيماءُ إلى ذِكر اللّه تعالى على كلِّ حالٍ

وفي قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ إشارةٌ إلى جميع الأحوال الَّتي يكون عليها الإنسان في تفكُّره، فإذا كان مع غيرهِ دخلَ في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ﴾، وإذا كان مختليًا بنفسهِ دخلَ تحت قوله تعالى:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 529.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 232.
(3) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 307.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 590.

﴿وَفُرَادَىٰ﴾، فكان مرادُ هذا التَّعبير أن يأمرَهم بالقيام مجتمعينَ ومنفردينَ، فلا حالَ يمرُّ عليهم إلّا ويذكرون الله تعالى فيه[1].

المثنى كنايةٌ عن عمل النَّهار، والفرادى كنايةٌ عن عمل اللَّيل

ويحتمل أن تكونَ التَّثنيةُ عملَ النَّهار، وهو فيه مُعان، والإفرادُ عمل اللَّيل، وهو فيه وحيد[2]، فالمثنى يشبه عمل النَّهار؛ إذ يرافق الإنسانَ فيه آخرون، أمّا الإفرادُ؛ فيشبه عملَ اللَّيل؛ إذ يكون الإنسانُ وحيدًا مع نفسِه؛ لأنَّ النَّهارَ عادة ما يكون وقتًا للاجتماع، بينما يكون اللَّيلُ وقتًا للانطواء والتَّفكير.

نكتةُ تقديمِ ﴿مَثْنَىٰ﴾ على ﴿وَفُرَادَىٰ﴾:

الحقائقُ مِن مُتعاضِدَيْن في النَّظر أجدى وأفيَد

قُدِّمَ حالُ التَّثنية على حالِ الإفراد في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾؛ لأنَّ الحقائقَ مِن متعاضِدَيْن اثنين في النَّظر والتَّأمُّل أجدى من صدورها من واحدٍ؛ ليَبْرُزَ فضلُ التَّعاون والتَّبادل الفكريِّ؛ إذ إنَّ حال التَّثنية - أي: العمل مع الآخر - تُثمر حقائقَ أعمقَ وأشمل، فالنِّقاش البنّاء بين اثنين يزيدُ مِن عُمق الفهم، ويصقل الرَّأي، ممّا يجعلُ كلَّ فردٍ أكثرَ بصيرة ووعيًا، فإذا ما ظهر الحقُّ بينهما؛ غدا كلُّ واحدٍ منهما مفكِّرًا في الأمر، فيزداد بصيرة ورشادًا[3].

يقومُ الاثنان، فيعتبران في أمر الرَّسول، ثمَّ يقوم كلُّ واحدٍ منفردًا

وفي التَّعبير بـ﴿مَثْنَىٰ﴾، ثمَّ إتباعُه بـ﴿وَفُرَادَىٰ﴾ إشارةٌ إلى التَّرتيب المنطقيِّ الزَّمنيِّ في القيام للاعتبار بما كان مِن أمرِ الرَّسول ﷺ، فقد أمرهم أن يقومَ كلُّ واحدٍ منهما مع صاحبه للاعتبار والتَّفكُّر في أمر هذا الرَّجل الذي اتَّهموه بالجنون والسِّحر والكذب، فإذا ما فعلا ذلك؛ قام بعد ذلك كلُّ واحدٍ منهما منفردًا متفكِّرًا مع نفسه متأمِّلًا فيما كان مِن أمره[4].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 214.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 311.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 425.
(4) مكي القيسي، الهداية: 9/ 5937.

معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾:

الأمـرُ العظيم جـديـرٌ بـالـتَّـأنّي وطول التَّدبُّر

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ حرفٌ دالٌّ على العطف بتراخٍ، فإنَّ اللّهَ تعالى لَمّا طلب منهم القيامَ لأمر عظيم؛ بيَّن ما يتبَعُ القيامَ، وهو التَّفكُّر في أمر الرَّسول ﷺ، وهو أمرٌ يستحقُّ التَّأمُّل والتَّدبُّر، وطول التَّروّي[1]، فلا يكن منهم استعجالٌ في الحُكم، ولذا بيَّنَهُ مقرونًا بحرف العطف الدّالِّ على المُهلَة ﴿ثُمَّ﴾.

أهـمّيَّةُ التَّفكُّر في أحوال النَّبيِّ ﷺ

في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ مطلبان، أحدُهُما: أن يقوموا لله، والآخر: أن يتفكَّروا في أمرِ الرَّسول ﷺ بادِّعائِهم أنَّه مجنونٌ، وجاء هذا الأخيرُ متأخِّرًا في الرُّتبة، واردًا بحرف التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾؛ "لأنَّ التَّفكُّر في أحوال النَّبيِّ ﷺ أهمُّ في إصلاح حالِ المخاطَبين المعرضين عن دعوته، بخلاف القيامِ للّه؛ فإنَّهم لا يأبونه"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالتَّفكُّر في: ﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾:

مَـن تأمَّل الأدِلَّة طالِبًا الوصولَ إلى الـصَّـواب؛ تبيَّن له طريقُ الحقِّ

(التَّفكُّر) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ في حاله ﷺ، وفيما رمَوْهُ به من الجنون، والحالُ أنَّه ﷺ كان أرجحَهُم عقلًا، وأصدقهم قولًا؛ ذلك أَن التَّفكُّر يهدي غالبًا إلى الصَّواب وتعرُّف الحقيقة؛ إذا تجرَّدَ صاحبُهُ عمّا يُشَوِّش نظرَهُ، ويُبَلْبِلُ فِكْرَهُ، ويُلوِّثُ قصدَهُ[3].

التَّـفـكُّرُ مـجـازٌ عن العِلم؛ لأنَّ العِلمَ نتيجتُهُ

والتَّفكُّر: تكلُّف الفِكر على الوجه الصَّحيح، وتكون نتيجتُه بلوغَ العلم[4]، والمعنى هنا: أن تتفكَّروا، فتَعْلَموا أنَّ ما بصاحبكم مِن جِنَّة، فيكون التَّفكُّر حينئذٍ مجازًا عن العلم؛ لكونهِ سببًا له، والمعنى: ثمَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 530.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 233.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 561.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 233.

تتفكَّروا؛ لتعلموا أنَّ أمرَهُ فيما جاء به مِنَ الرِّسالة والوحي والكتاب ما هو إلّا حقٌّ محضٌ لا شكَّ فيه[1].

دلالةُ إسنادِ فعل التَّفكُّر إلى ضمير جماعتهم:

الدَّعوةُ العامَّة إلى التَّفكُّر

أُسنِدَ فعلُ التَّفكُّر إلى الضَّمير المجموع العائد على المخاطَبين بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾؛ لما فيه مِنَ التَّوجيه الجماعيِّ إلى التَّفكير والتَّدبُّر في أمر النَّبيِّ ﷺ، وهذا التَّوجيه العامُّ ممّا يزيد من قوَّة الحجَّة، ويجعل الأمرَ أكثر إلحاحًا، فهو توجيهٌ عامٌّ إلى التَّفكُّر على النَّحو المذكور في الحالِ قبلُ: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾.

فائدةُ إطلاقِ فِعْلِ التَّفكُّر:

في إطلاق التَّفكُّرِ عن القَيْدِ عمومٌ وشمولٌ

فعلُ التَّفكُّر يتعدَّى بالحرفِ، فيُذكرُ معه المتفكَّر فيه عادةً، غير أنَّه وردَ مطلقًا عن أيِّ تقييدٍ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾؛ وذلك للإشارةِ إلى عُمْقِ التَّفكُّر المطلوب وشموليَّته، أي: يتفكَّروا في كلِّ ما يتعلَّق بأمرهم العظيم[2].

علَّةُ فصل قولِهِ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾:

تنبيهٌ مِنَ الله تعالى للنَّظر في أمر الرَّسول ﷺ

فُصِلَ قولُهُ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّها استئنافٌ نحويٌّ؛ وردَ تنبيهًا من الله سبحانه يدعوهم فيه إلى النَّظر والتَّأمُّل في أمرِ نبيِّهم محمَّد ﷺ بنظرةٍ متأنّيةٍ وعميقةٍ، بعيدًا عن التَّسرُّع والتَّهوُّر في الحُكم[3].

الجوابُ عن علَّة القيام لله تعالى إخلاصًا

ويجوز أن يكونَ الفصلُ استئنافًا بيانيًّا، وذلك لأنَّه لَمّا قيل لهم: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾؛ اتَّجه لهم أن يَسألوا عن علَّةِ تلك الإقامة لله، وذلك الخلوص إليه مثنى وفرادى، وسرُّ هذا النَّظر الدَّقيق، وسبب التَّفكُّر العميقِ، فجاء الجواب: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 535.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 535.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 590.

مِّن جِنَّةٍۚ﴾ أي: لاستعلام حال صاحبِكم، واستكشافِ أمره بتصدّيهِ للأمر العظيم[1].

دلالةُ ﴿مَا﴾ في: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾:

نفيُ الجنونِ عن الرَّسول ﷺ أمرٌ مؤكَّدٌ

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ دالَّةٌ على الاستفهام، ولا يُراد به الاستفهامُ المحضُ، بل هو استفهامٌ مؤوَّل بالنَّفي خارجٌ مخرجَهُ على معنى أيِّ شيء بصاحبِكم مِن آثار الجنونِ، والمعنى: لا شيءَ مِن ذلك البتَّة[2].

ويجوز أن يكونَ معنى ﴿مَا﴾ في الجملة دلالتَها على النَّفي المحضِ، على تقدير: أن تتفكَّروا، ثمَّ تعلموا أنَّ صاحبَكم ليس بمجنونٍ، وأنَّ انتفاءَ الجنونِ عنه أمرٌ مؤكَّدٌ لا مراء فيه، فجملةُ النَّفي معمولةٌ لِفعل التَّفكُّر[3].

معنى (الباء) في: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾:

رجاحَةُ عقلِ النَّبيِّ ﷺ

الباءُ في قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ دالَّةٌ على الإلصاقِ، فيكون فيه نفيُ لصوقِ الجنون بالنَّبيِّ ﷺ.

ومن معاني الباء في كلامِ العربِ الظَّرفيَّة[4]، ويجوز أن تكونَ الباءُ في قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ مِن هذا القبيلِ، فهي على معنى (في)[5]، فقد نفى الجنونَ عنِ النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ، أي: إنَّه ليس ظرفًا للجنون؛ توكيدًا على رجاحةِ عقلِ النَّبيِّ وسلامة تفكيرِهِ؛ وذلك ردًّا على مَن شكَّكوا في رسالتِهِ، واتَّهموه بالجنون.

بلاغةُ الإظهارِ في التَّعبيرِ بِـ(صاحب):

حالُ النَّبيِّ ﷺ مِن الكمالِ ورجاحةِ العَقل لا تَخْفى

لَمّا كان الكلامُ جاريًا على لسان الرَّسول ﷺ؛ لتصديرِ الآية

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 535.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 562، والشيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 713.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 233.
(4) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 141.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 328.

بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ﴾، فكان مقتضى الظّاهرِ أَن يردَ في النَّظمِ القرآنيِّ: (ما بي مِن جِنَّة)، إلّا أنَّه أظهرَ في مقام الإضمارِ، فقال تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾، "وفائدته: التَّنبيهُ على أنَّ حالَهُ معلومٌ لديهم، لا يلتبسُ عليهم؛ لشدَّة مخالطتهِ بهم مخالطةً لا تذَرُ للجهالة مجالًا، فهم عرفوه، ونشأ بينهم حتَّى جاءهُم بالحقِّ"[1].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿بِصَاحِبِكُم﴾:

طـولُ صُحْبَتِه لـهُـم صحبةً كريمَةً مدعاةٌ لـلإقـرارِ لَـهُ بالكَمالِ

الصّاحبُ في اللُّغة: من كان ملازمًا ملازمةً طويلةً على كلِّ حال[2]، وقوله تعالى: ﴿بِصَاحِبِكُم﴾ دالٌّ عليه ﷺ، أي: الذي جاءَ بالرِّسالة والدَّعوة إلى الله سبحانه، وقد صاحَبَكُم زمنًا طويلًا؛ "إشارةً إلى مصاحبتهِ أربعين سنةً في صحبةٍ كريمة عاقلةٍ أمينة، يرجعونَ إليه في أمورِهم المهمَّة، ويشركهم في فعلِ الطَّيِّبات أنَّى اتَّجهوا إليها، وأنَّ ما دفَعَكم إلى هذا الوصفِ الذي يُنافي ماضيَهُ وحاضره إنَّما هو أنَّه جاء بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا"[3].

معنى ﴿مِّن﴾ في: ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾:

لـيـس في صاحِبِكُم أيُّ أثَرٍ للجُنون

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾؛ لتأكيد النَّفي، وللنَّصِّ على الاستغراقِ، على تقدير: ما بصاحبِكم أدنى جنونٍ[4]، فهذا الاستغراقُ في النَّفي يعزِّز من قوَّة التَّعبير، ويؤكِّد براءةَ النَّبيِّ ﷺ من هذه التُّهمةِ الباطلة، فكأنَّ الله تعالى يقول: ليس في صاحبِكم أيُّ أثرٍ للجنون، لا في قلبه، ولا في عقله، ولا في أفعاله، بل هو بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن هذه الصِّفة الذَّميمة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 234.
(2) الراغب، المفردات: (صحب).
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/ 3019.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 535.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿جِنَّةٌ﴾، ولطيفة تنكيرِها:

دعـوى الجنـونِ أروجُ

الجنَّةُ هو الجنون، وقد نُفي عن النَّبيِّ ﷺ ذلك[1]، وقد كان التَّفكُّر بالاقتصار على نفي الجنونِ عنه ﷺ؛ لأنَّ أصلَ الطَّعن في نبوَّته كان أن رمَوهُ بالجنونِ والسِّحرِ والكذب، فكان ابتداءُ إرجاعِهم إلى جادَّة الحقِّ والصَّواب أن يُنْفى عنه الجنونُ، حتّى إذا أَذْعنوا؛ كان حقيقًا أنَّ ما جاء بهِ لا يكون إلّا مِن عاقلٍ، فأمّا السِّحرُ والكهانة؛ فنَفْيهما أيسرُ مِن ذلك؛ لأنَّهما يحتاجان إلى مزاولةٍ طويلة، وأمّا الشِّعرُ؛ فليس في القرآن من مسحةِ الشِّعر شيءٌ باعترافهم، وأمّا الكذبُ؛ فبعيدٌ، فقد خالطوه، وكان بين ظهرانيهم، فعرفوا صِدْقَهُ وأمانته، فلم يبقَ إلّا دعوى الجنونِ، فهي أروجُ بين أهل مكَّةَ؛ لأنَّ الجنونَ يطرأُ على الإنسان دفعةً واحدةً[2].

وجاء لفظُ ﴿جِنَّةٌ﴾ منكَّرًا؛ للدِّلالة على العموم؛ لأنَّها في سياق النَّفي، فليس به ﷺ أيُّ ضربٍ مِنْ ضروبِ الجنونِ.

الاستدلالُ باللّازمِ في الآية:

نفْيُ الجِنَّةِ عنه يُـرادُ بـه إثـباتُ الرِّسالةِ لَهُ

في قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٌ﴾ إيماءٌ إلى دلالة المُخالفَة، وهو أنَّ نفْيَ الجِنَّة عنه ﷺ "يفيد كونه رسولًا، وإن كان لا يلزمُ في كلِّ مَن لا يكون به جِنَّةٌ أن يكونَ رسولًا، وذلك لأنَّ النَّبيَّ عليه السلام كان تظهر منه أشياءُ لا تكون مقدورةً للبشر، وغيرِ البشرِ ممَّن تظهرُ منه العجائبُ إمّا الجنُّ أو الملك"[3].

علَّةُ فصلِ قولِهِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾:

بـيـانُ وظـيـفـةِ الرَّسول ﷺ

فُصِلَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾؛ لكونِهِ استئنافًا بيانيًّا[4]، فهو انتقالٌ إلى بيانِ وظيفتهِ ﷺ في النِّذارة والتَّحذيرِ والتَّخويف

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 95.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 234.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 215.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 624.

مِنَ العذاب الشَّديدِ الذي سيحلُّ بِكم ذلك اليوم؛ إن بقيتُم على كفرِكم وشركِكم[1].

معنى ﴿إِنْ﴾ في: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾:

﴿إِنْ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ حرفٌ دالٌّ على النَّفْيِ، أي: ما هو إلّا نذيرٌ، والمعنى: ليس هذا الرَّجلُ الذي أُرْسِل إليكم، وقُلْتُم فيه ما قُلْتُم إلّا نذيرٌ مبينٌ؛ يخوِّفكم عذابَ الآخرة؛ إن عصيتُم اللّهَ تعالى، وتركتم دعوتَهُ وراء ظهوركم[2].

المُـرادُ بـالإنـذار تَخْويفُ العُصاة مِن عذاب الآخرة

بيانُ مرجعِ الضَّمير ﴿هُوَ﴾ في الآية:

مرجعُ الضَّمير ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: الرَّسول ﷺ، فهو الذي تتحدَّث عنه الآياتُ بِعَيْنِه[3].

معنى ﴿إِلَّا﴾ في الآية:

﴿إِلَّا﴾ حرفٌ دالٌّ على الاستثناء، وهي مع النَّفْيِ قبلها أو شِبهه تدلُّ على القَصْرِ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، وهو هنا قصر إضافيٌّ، فالرَّسول الذي أُرْسِلَ إليكم ما هو إلّا نذيرٌ خاصٌّ لكم[4]، يُريد تخليصَكُم ممّا أنتُم فيه مِنَ الغواية والضَّلال وعبادة الأوثان والتَّمسُّك بدين الآباءِ والأجداد.

تخليصُ العِباد مِـنَ الـغـوايـةِ وظيفَةُ الرُّسُلِ

معنى (اللّام) في ﴿لَّكُم﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ تدلُّ على الاختصاص، فالنِّذارة مختصَّة بكم، وهذا على وجهِ المبالغةِ في الاهتمام، حتّى كأنَّه لا يُنذِرُ غيرَهُم.

نكتةُ إيثارِ القصر وبلاغته في الآية:

في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ أسلوبُ قصرٍ، وطريقُهُ:

دفْعُ المطاعن عن النَّبيِّ ﷺ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 307.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنّة: 8/ 460.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 531.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 531.

النَّفيُ والاستثناءُ، وهو قصر موصوف - وهو النَّبيُّ ﷺ - على صفة - وهي النِّذارة بقرُبِ العذابِ - قصرًا إضافيًّا؛ فلا تحوم حولَهُ الأوصاف الأخرى التي لَمزتُموه بها[1]، كالكذب والسِّحر والجنونِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بِـ﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾:

الإشارةُ إلى قُرب العذابِ

البَيْنيَّة في قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ دالَّةٌ على التَّرتيبِ، أي: "إنَّ محمَّدًا ﷺ جاء في الزَّمن من قبلِ العذابِ الشَّديدِ الذي توُعِّدوا به"[2].

وفي ذلك أيْضًا إشارةٌ إلى قربِ حلولِ العذاب، فهو يحذِّركم مِن عذابٍ حاضرٍ يُصيبُكُم عن قريب[3].

بلاغةُ الاستعارة في: ﴿يَدَىْ عَذَابٍ﴾:

بيـانُ عـظَـمَـةِ الأهـــــوالِ والشَّدائِد

في قول اللّه تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ استعارةٌ؛ إذ المرادُ: بيانُ هولِ أمرِ العذاب الذي يصيبُهم بتصويرِهِ في صورةِ من يملِكُ آلةَ بطشٍ وقسوة تُحيط بمن تقصدُه[4]، وهي استعارةٌ مكنيَّةٌ أصليَّةٌ.

فالاستعارةُ في قولِه تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ﴾ لما يكون مِنَ الأهوال العظيمة، والشَّدائد المفزعةِ أمامَ الإنسانِ في ذلك اليوم العصيب[5].

ويجوز أن يكونَ هذا التَّركيبُ ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ﴾ من باب الكنايةِ، أي: قدّامه[6]، فالعبارة فيها إشارةٌ إلى وجود عذابٍ قريبٍ سيصيبُ الكافرين والمشركين قبل العذابِ الأكبرِ الذي ينتظرُهم في الآخرة، ومعناه قربُ الحدوثِ؛ ولذا اقتضى القبليَّة[7].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 235.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 425.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 215.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 531.
(5) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 623.
(6) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 536.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 235.

دلالةُ الوصفِ بالشِّدَّةِ على زِنَة (فَعيل):

العذابُ الشَّديدُ حاصِلٌ لَهُم في الدُّنيا والآخرة

لَمّا توعَّدهم بحلول العذابِ قريبًا منهم؛ وصفَهُ بالشَّديد في قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، والعذاب الشَّديدُ: الجهلُ والجحود والطَّرد واللَّعن من اللّه تعالى، وفي الآخرة: الحسرةُ والنَّدامة ودخول النّارِ[1].

وغرضُ وصفِ العذاب بالشِّدَّة: ترهيبُ الكافرين والمشركين، وإيقاظُ ضمائِرهم ليَؤوبوا إلى اللّه تعالى، فوَصْفُ العذابِ بهذه الصِّفة القويَّة يَحْمِلُهُم على إدراكِ عِظَمِ جُرْمِهم، وزادَ العذابَ قوَّةً وشدَّةً التَّعبيرُ بالصِّفة المشبَّهة ﴿شَدِيدٍ﴾، وهي (فَعيل) مِنَ الشِّدَّة؛ لإفادة معنى الثُّبوت واللُّزوم والدَّوام.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوعظ والنُّصح والإرشاد:

الـوَعْـظُ أخـصُّ من النُّصح

الوعظُ هوَ التَّخويفُ والزَّجر بما وقع لغيره، ويكونُ للتَّذْكير بالخَيْر مِمّا يَرِقُّ لهُ القَلْبُ، كَما يكونُ للتَّذْكير والإنذار بما وقع للعُصاةِ[2]، والنَّصيحةُ: كلمَةٌ جامِعَةٌ تدلُّ على إرادة الخير للمَنْصوحِ لَهُ وبذلِهِ لَهُ[3].

فالنَّصيحةُ عَلى هَذا أعمُّ مِنَ الوعظِ؛ لأنَّ النَّصيحةَ قد تكونُ تَذْكيرًا بمعلومٍ مغفولٍ عَنْهُ، أو تعليمًا لمجهولٍ، بخلافِ الوَعْظِ فغالِبُ استِعْمالِهِ يكونُ في التَّذكير بمعلومٍ مَغْفولٍ عَنْهُ.

أمّا الإرشادُ؛ فهو بيانُ الطَّريق إلى الشَّيء وتبيينِهِ[4].

ولَمّا كان مِن أمرِ المشركين ما كان مِن توهينِ قَدرِ الرَّسول ﷺ، بأنَّه

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 7/ 307.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/ 264.
(3) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: 1/ 219.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 209.

رجلٌ يريد أن يصدَّهم عن عبادةِ آبائِهم، وأنَّ ما جاء به مِن الكتابِ إفكٌ مفترًى، وأنَّ الحقَّ ما هو إلّا سحرٌ مبينٌ كان حريًّا به أن يعظَهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾؛ لما في الوعظ مِنَ الزَّجر والتَّعنيف المقترن بالحذرِ والتَّخويف[1]، بخلافِ النُّصح والإرشادِ الذي لا يناسب مقامَ التَّغليظِ والتَّشديد على هؤلاء المكذِّبين.

الجنون والتَّخبُّط:

نـفـيُ الـتُّـهـمـة المَنْسوبَةِ دونَ غيْرِها

بين الجنونِ والتَّخبُّط عمومٌ وخصوص مُطْلَقٌ؛ إذ التَّخبُّطُ نوع مِنَ الجنونِ يَحْمِلُ صاحبَهُ على الصُّراخ والسُّقوط[2].

والتَّعبيرُ بالجنون في قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾؛ لأنَّ الجنونَ أعمُّ، وقد كان الكافرون ينسبون الجنونَ إلى الرَّسولِ ﷺ[3]، ولم يكونوا ينسبون إليه التَّخبُّط، فلمّا أُريدَ أن يُنْفى عنه ما نسبوه إليه سابقًا؛ أورِد لفظُ الجنَّة دون ما سواها من تخبُّط أو نحوِه.

(1) الراغب، المفردات: (وعظ).
(2) أبو عبيد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث: (خبط).
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 5/ 102.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»